Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى عبارة الأديب ، فيجتلب لها الألفاظ اجتلابا من غير استدعاء المعانى لها ، على أن اللفظ اذا استجاب للمعنى كان نقطة ارتكاز لما يأتى بعده ليكون عبارة أو اسلوبا ، ومتى وصل اللفظ إلى هذه المرحلة ، دخل فى باب المعانى وحسن التأليف ، وقد رأينا أن حسن التأليف فى نظرالآمدى شيخ عبد القاهر ، يزيد فى المعنى حسنا ورونقا ، حتى كأنه أحدث فيه غرابة لم تكن وزيادة لم تعهد[1] » لأن حسن التأليف فيه تصوير ، والتصوير من الخيال ، والخيال نفسه لايخلو من الفكرة ، كما أن الفكرة لاتخلو من الخيال .

وهكذا خالف « عبد القاهر » كل من يتعلق بالجمال الذى تظهر به الكلمة فى جرسها وفى تناسق حروفها ، ورأينا أنه قد رجع عن فكرته فى اخر كتابه « دلائل الإعجاز » ولكن بحذر ، وبتحفظ العالم الذى يخشى أن تؤثر عبارته على تقرير النظرية التى يهدف إلى اثباتها . ورأينا له رأيا خاصا بالطباق والتجنيس ، فالطباق ضد يميز الأشياء ، والتجنيس مخالفة مداعبة من الأديب للقارىء أو السامع : يكرر الكلمة فيحسبها القارىء كلمة مكررة ولفظة معادة ، ويسارع إلى اتهام الأديب بالتكرار وقلة الفائدة ، ثم لا يلبث بعد أن يعلم أن الكلمة الثانية فى الجناس تخالف الكلمة الأولى فى المعنى وان تزيت بزيها ، حتى يرجع إلى نفسه بالتهمة التى وجهها إلى الأديب . ويقول ما أحق ما يقوله وما أصدقة ! أنا الذى أخطأت الفهم لا الأديب .

لقد ظهر عبد القاهر وسط الصراع المحتدم بين أنصار اللفظ وأنصار المعنى ، وكذلك رأى عند الآمدى والقاضى الجرجانى للتأثير النفسى قيمة تقف إلى جانب القيم اللفظية والمعنوية . والتقت هذه الأفكار كلها فيه ، واختلطت بحسه وفكره ووجدانه ، فخرج منها ومما قرأه حول الإعجاز وما أحاط به من الدراسة والتجربة بفكر جديد ، لايخطىء تاريخ النقد والبلاغة عندما ينسبه إليه . لم ير فضل الكلام وحسنه فى الألفاظ ، كما لم يرها فى المعانى بالمفهوم الذى استقرت عليه عند المعنويين ، وانما رآه فى الكيفية التى يكون عليها نظم الكلام ، وبذلك استطاع ان يقضى على هذه الثنائية فى النقد العربى ، تلك التى جعلت للألفاظ أنصارا ، وللمعانى آخرين ، فكانت جريرة ذلك على البلاغة ان الذين فسدت فيهم حاسة الذوق أهملوا جانب

---

(١) الموازنة صفحة ١٧٣ .